الاباء والبنون

﴿ رواية اجتماعية تمثيلية ﴾

لخائيل نعيمه

« تابع ما قبله »

* * * * *

—(الفصل الثالث)—

(الاشخاص)

ام الياس — ارملة بطرس بك سماحه

الياس — ابنها الاكبر

خليل — ابنها الاصغر

زينة — ابنتها

موسى بك عركوش — كاتب ضبط متقدم في السن

ناصيف بك — ابنه · شاعر « عصري » خطيب زينة

داود سلامه — معلم مدرسة

(غرفة في بيت موسى بك العركوش · فيها كراسي قديمة بعضها من القش المعزق · الى الحائط الايسر ديوان قديم عليه وسائد قذرة · في الزاوية الى الشمال من الديوان سماور في الحائط إلى اليمين الياس ، عليها ملابس

وعصي . امام الديوان طاولة صغيرة مدورة مغطاة بقطعة من الرخام الملطخ بالحبر وغير ذلك ، عليها قنديل بترول وعلى الارض سجادة قديمة فيها خروق في وسطها واطرافها تغطي قسماً من ارض الغرفة . في وسط الحائط الايمن باب . وعند اسفل حائط الصدر فراشان مطويان بدون ترتيب . وعند طرف الغرفة الجنوبي (طرف المرسح) « منقل » فيه قليل من الفحم ونار تكاد تنطفىء . وحوله « طراحات » قديمة مختلفة الالوان فوقها وسائد اقدم غلفها ممزقة في بعض المحلات .)

ناصيف بك — (يتخطر ذهاباً واياباً ويردد مشيراً بيديه تارة الى اليمين واخرى الى الشمال)

علقت بحمرة وجهك الوهاج كل القلوب فاين اين علاجي
غيري يداجي أو يحابي انما قلبي ، وراس ابيك ، ليس يداجي

(يصفق اعجاباً ويعيد البيت بصوت اعلى من السابق)

من شق ثغرك استقي وعلام لا وبنور عينك يستضيء سراجي؟

(يصفق . يدخل موسى بك وفي يده نرجيلة وعلى رأسه « عرقية » (قبعة بيضاء تغطي نصف الرأس) . يجلس عند المنقل متكئاً على منضدة ثم يأخذ جمراً من النار لنرجيلته .)

موسى بك — مالك ؟ هل فقدت آخر نقطة من عقلك ؟ لماذا هذا التصفيق ؟

ناصيف — آ . مالي ومالك — انت لا تفهم شيئاً في هذه الامور . هل

سمعت في حياتك مطلع قصيدة ابدع من هذا المطلع ؟ (يتلو عليه الابيات) قل لي · هل سمعت في حياتك ؛ او اخبرك احد من جيرانك ، عن اجمل وابدع من هذا المطلع —

من شق ثغرك استقي وعلى م لا ويثور عينك يستضيء سراجي !

موسى — انت واشعارك ستقودني الى المقبرة عن قريب · هل هذا وقت نظم قصائد ؟

ناصيف — وقت نظم قصائد ؟ والله فصل ! وما نفع الكلام معك اذا كنت لا تفهم من هذه الامور شيئاً ؟ انت لا تعرف سوى تسجيل الحجج وكتابة المعاريض وتريدني ان اكون كذلك ولا تدري ان هذا العصر هو عصر النور ، عصر الشعر ، عصر التمدن · قد اخبرتك اني مدعو غداً الى بيت القائمقام · فهل تريدني ان اذهب الى هناك واجلس صامتاً مكتف اليدين ، والناس من حولي يتلون القصيدة بعد القصيدة والخطاب أثر الخطاب ؟ أهكذا تشاء مني ان اكون ؟ عندك ابن شهرته طبقت الآفاق وانت لا تعرف قيمته ولا تقدر مقامه في الهيئة الاجتماعية · انت ولدت في عصر وانا في عصر — فكيف تأمل ان اكون مثلك ؟

موسى — ملأت اذني ومزقت قلبي بهذا الكلام الفارغ · انا اسعى جهدي لاجعلك انساناً بين الناس وانت تعمل بكل مقدرتك لتسود اسمي بين العالم وتقصر ايامي في هذه الدنيا — وقد قضيت نصف عمري · دبرت لك عروساً — احسن عروس في المدينة كلها بل في كل لبنان · عندها مال ·

عندها ارزاق · بنت اكابر ، جميلة ، عاقلة ، وانت ماذا فعلت ؟ كنت تملأ رأسك عرقاً وتذهب اليها تكلمها بدعارة وجهل · تلعب بالقمار مع اخيها واخوها يخبرها بكل شيء · فكانت النتيجة ان ارجعت لك خاتم الخطبة وتعلقت بسواك · وانت لا تخجل بعد ذلك ان تظهر بين الناس وتصنف قصائد · (بحرقة) ابن موسى بك العركوش رفضته عروسه ! يا للعار ! وابن موسى العركوش ماذا يعمل — ينظم اشعاراً · يا عارك يا شيبتي !

ناصيف — قل ذلك لغيري — فربما صدقك · أتريد ان تؤكد لي انهم قد صعب عليك كسر شرفك في ترجيع الخاتم ؟ صعب عليك ان تخسر مال ابنة سماحه وارزاقها ·

موسى — أتظن اني اريد مالها لذاتي ؟ انا ايامي قصيرة · لكن امامك حياة طويلة بعد · فبماذا تعيش ؟ اذا فلتت صيده كهذه من يدك فمن اين تأتي بالمال لتأكل وتشرب وتكتسي ؟ من اين تفي ما عليك من الدين ؟ الكرم بعناه والتوتات بعناها — والحقل بعناه · والقرس بعناها · وهذا البيت مرهون وستستحق الرهنية عن قريب · هل تعرف ذلك ؟ من اين تأتي بالدراهم لتعيش بعد موتي — هل فكرت بذلك ؟ لا صنعة بيدك ولا حرفة — فماذا تفعل — قل لي — ماذا تفعل ؟ انقتات بالروح القدس ؟ · ام تخيط لك ثياباً من قصائدك ؟ اجبني ماذا تفعل ؟

ناصيف — لو لم تبذر اموال امي وارزاقها لما كنت في حاجة الى الاهتمام بماذا آكل وبماذا ألبس ·

موسى — ارزاق امك ؟ ومن بذر ارزاق امك غيرك ؟ من بذرها على السكر والقمار والنساء غير جنابك ؟

ناصيف — اي والله صح قول المثل — قامت القدرة تعير المرغفة بشحارها ! (بحدة) أتعيرني بالقمار وانت شيخ القمرجية ؟ وبالسكر وقد شربت في حياتك بحراً من النبيذ والعرق ؟ اذا كنت لا تلعب الان بالقمار فلأن لا دراهم في يدك . واذا كنت لا تسكر فلأن اصحاب الخمارات كفوا عن بيعك عرفهم بالدين . تعيرني ان لا حرفة في يدي — وما هي حرفتك ؟ قل لي بحقك ماذا عملت في هذه الخمس وستين سنة التي عشتها على الارض ؟ ها قد مضى عليك اكثر من ثلاثين عاماً وانت كاتب ضبط في المحكمة — لم تتقدم خطوة واحدة . الذين بدأوا بالخدمة معك قد اصبحوا الان قائمقامين او قضاة او محامين مشهورين — فما انت ؟ كاتب ضبط في محكمة القضاء ! مع ذلك تهزأ بحرفتي — وحرفتي اشرف ما احترف رجل في العالم — حرفتي نظم القريض . انت ستموت وتدفن ويخمد ذكرك الى الابد . اما انا فسأحيا الى الابد في كل بيت من ابيات شعري .

موسى — يا خيبة آمالي ! يا ضياع اتعابي ربيتك يا ناصيف حتى تبلغ هذا السن لتشتمني . الله لعن حاماً لانه هزأ بعورة ابيه . وسيلعنك الله لانك تسخر بشيخوخة ابيك . لو كنت رجلاً ذا مركز في العالم ، ذا نفوذ ، ذا كلمة ، ذا اعتبار ، لو كنت كسبت فلساً واحداً في حياتك بكد يمينك لما صعب علي هزؤك . لكنك عشت وانت انشف من شوكة الدندرية . لا

رائحة فتشم ولا تمر فتو كل ·

ناسيف — ايها الطبيب طبب نفسك !

موسى — تفه عليك وعَلَى الساعة التي ولدت فيها — تلك كانت ساعة نحس · ولَك — لمن تظنني تعبت واجتهدت لاحصل لك عَلَى ابنة بطرس سماحه — لذاتي · انا قد عشت حياتي — ان عشتها قديساً او تلبيساً — لكن انت · انت عَلَى من اتركك بعد موتي ؟ اذا لم تحصل عَلَى ابنة سماحه فالافضل لك ان تذهب وتدفن نفسك حياً ! أتظنني لا اعلم ان « عليك الدين جربه كلبين » · فبماذا تفي ديونك ؟ ابن البكر له عندك ١٠٠ ليرة · (بتمهل) مائة ليرة — كبيالة استحقت · أتحب ان تضعك في السجن ؟

ناسيف — في السجن ؟

موسى — نعم · في السجن ، في السجن · هذا مـا سيحل بك اذا لم تتدارك الامر وتترك قصائدك جانباً وتفعل بما اقوله لك · لا خلاص لك الا في ابنة سماحه · اذا لم تأخذها انت يأخذها سواك · اذكر كلامي هذا وضعه نصب عينيك · أليس حراماً ان يحظى باموالها وارزاقها نوري فقير مثل داود سلامه ؟ ألا تخجل ان تعترف امامي ان صعلوكاً مثله تمكن ان يمتلك قلب عروسك ويميله عنك وهو « نغل » لا احد يعرف اصله من فصله · وانت شاب من خيرة الشبان ومن بيت عريق بالحسب والنسب · انت ابن العركوش · انت بك وابن بك · وهو — من هو ؟ من يكترث به في العالم ومن يحسب له حساباً ؟ عيب · عيب والف عيب عَلَى شاب مثلك ان يتخلى

عن عروسه لتوري كهذا دون ان يعرفه مقامه بين الناس :

ناصيف — وماذا اعمل ؟ ماذا تريدني ان اعمل ؟ هل اقدر ان اتصيد لتحبني ؟

سمعان — لتحبك ؟ ويلك انت اشكر ربك لانها لا تحبك ولان امها تحبك . امها تحبك وهذا يكفي .

ناصيف — وماذا ينفعني حب امها ؟

سمعان — اسمع . اسمع ! اسمع لي وانا اخبرك . انا ابوك وشعري قد شاب . واين شاب هذا الشعر ؟ ربما كنت تعرف مستفعلن فاعلن احسن مني . لكنك في امور الحياة لا تزال طفلاً . انتم — ابناء هذا الجيل — تتعلمون في المدرسة « ضربَ زيد عمراً » فتظنون انكم اصبحتم فلاسفة وان اباءكم كالجرة المحششة ، لا يصلحون سوى للكسر . اسمع . اسمع لابيك ولو كنت تعد نفسك افهم منه .

انت ، كما قلت لك ، اضحك في قلبك لان ام الياس تحبك وتشد ازرك . وام الياس امرأة جبارة لا تخضع لارادة احد سوى ارادتها — اذا قالت كلمتها لا ترجع بها . هي لا تعرف احوالنا المالية — وذلك من حسن حظك . لو عرفت انك مديون لهذا وذاك فلربما غيرت افكارها من نحوك . لكنها لا تعرف — فاضحك في قلبك . انا اظهرت لها اني متأثر جداً من فعل ابنتها في ارجاع خاتم الخطبة لك . وقد تطرفت معها حتى اني قلت لها انك ارخص لم تعد ترضى بزينة حتى ولو عادت وقبلت منك الخاتم . فالان اذا رأيتها

كبر هيبتك قليلاً · وكلما اظهرت لها كبرياءً ازدادت حباً بك واشتد عزمها عَلَى ان تعطي ابنتها لك ولا لسواك · هل تفهم ما اعني ؟ اسمع بعد ! عندك مساعد آخر — خليل · هذا شيطان ملفلف · اجعله يدك اليمنى · حينئذٍ دع زينة تعشق من شاءت — داود سلامه او داود قرود ، فهي لا تقدر ان تخلص من بين ايدي امها واخيها خليل · اما اخوها الثاني — الياس — فهذا « آلاف لاشين عليها » ، هذا لا يهمه لو خربت الدنيا كلها او عمرت · ولو أُخذ اخته القرد الاسود ·

ناصيف — انت مخطىء ·

موسى — اسمع لي · اسمع لي الان حتى انهي ما عندي · وهذا داود سلامه او داود حرامي اذا بقيت زينة متعلقة به فهنالك طريقة للتخلص منه

ناصيف — قد جربنا تلك الطريقة ولم تنفع · ضربناه وظننا انا تركناه عَلَى الثلج ميتاً ، لكنه برىء من جراحه فهو اصح مما كان

موسى — طريقتكم لا تنفع لان فيها خطراً · والخطر ان تقف الحكومة عَلَى الاثر فتكون النتيجة خلاف ما نشتهي · لكن اسمع لاخبرك عن طريقتي الان · يقولون ان عنده اختاً · أليس كذا ؟

ناصيف — عنده اخت وماذا تنفعنا اخته ؟

موسى — اصبر · لا تكن لجوجاً · واخته تسكن معه · أليس كذا ؟

ناصيف — تسكن معه لما تجيء في فرصة مدرسية ·

موسى — هذا لا يهم والمهم انها تسكن معه الان في غرفة واحدة · من

يعرف انها اخته الشرعية ؟ لا احد . هو واخته غريبان في هذه المدينة ولا احد يعرف اصلهما . لنفرض انك تسأل صاحبك خليلاً ان يقول امام زينة — ولو بطريق العرض — ان هذه الابنة ليست اخته على الاطلاق . وانها فتاة غريبة عنه يعيش معها في زيجة غير شرعية . ولنفرض ان خليلاً ، ليعظم المسألة ، يذكر امام اخته ، بطريق العرض كذلك ، ان هذا الانسان مصاب بداء خبيث . فما قولك ؟

ناصيف — (يعانق اباه بفرح كلي) لله درك . لله درك من اب روءوف محنك . والله لو صرفت نصف عمري لما اهتديت الى حيلة كهذه الحيلة !

موسى — بقي عليك الان ان لاتتوانى وان تتممها حرفياً . ولاخوف عليك او علي حينئذٍ من الدين والمدايين . فهمت ؟

ناصيف — فهمت . فهمت . وكيف لا افهم . لكن لو تمكنت زينة من مقابلة هذا الملعون في هذين اليومين فاخاف ان يذهب تعبنا ادراج الرياح لانه بكلمة واحدة يقدر ان يبدد كل شكوكها .

موسى — كن مرتاح البال . انا اقدر ان اقنع ام الياس ان لا تدعها تخرج من البيت . واذا انطلت على زينة حيلتنا ، حتى اذا داخلها شك قليل في قداسة هذا النفل الذي تحسبه هي ملاكاً ، نكون قد ربحنا الموقعة . لان ممانعتها لامها حينئذٍ تقل . ولما ترى انها بقيت بلا عريس تعود اليك بلا شك (يطرق الباب) . لننظر من الطارق . (ناصيف يفتح الباب فتدخل ام الياس . موسى يهش لاستقبالها) اهلاً وسهلاً . بمرأة خيي ام الياس . كيف سرقتك

الدرب صوبنا اليوم ؟

ام الياس — (واضعة يدها عَلَى كتفه) تفضل استريح · تفضل استريح يا موسى بك · يا عيب الشوم ·

موسى — الله لا يعيبك · كرمال قيمتك · تفضلي · تفضلي استريحي · هاتي كنا بسيرتك · (ام الياس تجلس حول الحارون) عن قول لناصيف — مسكينه ام الياس ! كيف كانوا كل الناس حاسدينها عاولادها و كيف عادوا ولادها نزعوا اسمهم واسم بيهم · عن قول له انها ام الياس ما بتستاهل الا كل مليح عاكبر عقلها وطيبة قلبها وقداستها وليش الله عن يجازيها هيك

ام الياس — (بحرقة) يتمجد اسمك يا ربي · ايش طالع بايدي · عملت كل جهدي تربيهم اوادم · (متنهدة) بعد بيصير للدني حال

موسى — أو · الحق معك · بعد بيصير للدني حال · الياس قولي ايش بدك فيه · خليه وحده · الياس عقلاته عقدهن

ام الياس — (بحسرة) الياس قطعت كل الامل منه · كنت قول طالع لبيه · كنت قول بدو يطلع رجال · لكن يا فيمان التعب · يا فيمان العلم · شايفتلك العلم عملته هيك · بيعلملي بفنون فنون — ساعه هالدني مش سايعته ساعه ما في لا الله ولا شيطان ولا جنة ولا جهنم · ساعه ان كل العالم خوتان · ساعه بيقول انه بدو يشتق حاله بما يقوص حاله · ساعه بيقول انه بدو يروح يفلح ويزرع · انا بعرف · فنون فنون · شيب في راسي يا موسى بك · مبارح طالعلي بفن جديد · جابي بيقلي — يا امي بدي اتجوز · قلت نشكرك

يا ربي ونحمدك . الصبي ركز عقله . يا ابني مين بدك تأخذ ؟ قال شهيدم سلامه . اخت المعلم داود سلامه . وايش دينها يا ابني ؟ بسترند . كيفك ؟ ابن بطرس سماحه يروح يأخذ شقفة معلمه وبسترند ولكن ؟ ! لا . لا . لا . قلبي ما عاد في يحتمل يا موسى بك . قلبي دمدم وراسي داخ . لمن قال لي هيك هالك الساعه ما عدت قشعت — » يقلع لك والبسترند ولكل مين صلّب بصليبهم ! بدك تأخذ بسترند روح انقلع من بيتي . روح عمول بسترند . عمول نوري عمول فرمسوني — لكن لا بقى تخليني شوف وجهك . ضيعان الخبز اللي فتيته عليك . ضيعان المصاري اللي بعزقتها عاعلمك . روخ من وجهي . روح من وجهي . روح من وجهي ! » ما عدت قشعت ولا عدت اعرف ايش عن قول . حمل حاله وفات عالوضته وسكر الباب . ايش بدك حفظ بعد انحس من هاالحفظ يا موسى بك . شو عملت بربنا نخمين يا هاالترى نهو مين يبادبني ها المبادا ؟ ابن بطرس سماحه يأخذ بسترندية !

موسى — قولي الياس عقلاته كانوا على جنب من زمان . لكن زينه . زينه شو اخذها وجاب غيرها ؟ ما بتحبيش تعملي لك شحطه (يقدم لها التربيج)

ام الياس — . يا عيب الشوم خلي بايدك

موسى — (بالحاح) تفضلي . تفضلي .

ام الياس — (تأخذ التربيج وتبدأ بالتدخين) هادا هادا — هو اللي حارق لي قلبي يا موسى بك . لو بعرف بس ها اللعين ها الابين الستين سرمايه كيف

دخل بعقلها وقلبها خلفاني قدماني ؟ تري منين الله بلانا فيه ! بعلمك كانت مثل السوارة بالايد · بعلمك كانت — امي · امي · ايش ما قالت امها — عَلَى راسها · بعلمك كانت مثل غنمة القرعة ما تردش بوجهي كلمة · اليوم صارت بترد لي الكلمة كلمتين · بدّك اكثر ما جبت العصا ونزلت فيها خبيط ؟ بزماني ما مديت ايدي ليها · لكن راسها والف عصا · الداي داي والطبيب الله ·

موسى — بعد بتعقل · البنت بعدها جاهله ·

ام الياس — جاهله ؟ لا يعيشها · تجهل انشاءالله · صار عمرها ١٩ سنة وبعدها جاهلة ؟ مبارح بتقول لي — « يا باخد داود يما بروح عالدير · واذا ما خليتنيش روح عالدير بسمم لحالي ·» كيفك ؟ بتقول لي — « انت بدك تهلكيني · انت بدك تجوزيني غصباً عني » سامع ؟ قال انا بدي اهلكها ريتها هالكه ! قال بدي جوزها غصب عنها · والبنت لحد وين بدها تضل ناطره تخمين ؟ شو قدام البنت غير الجازه ؟ البنت بس تقطع الثانتعش وتضل بالبيت بيصبروا لسانات الناس بيظهرها هه (تضع شبراً فوق شبر امام فمها) بلا فافيه · البنت شو لها غير الستره ؟ هلق ما عدت فيي هدي الناس عني · حكت العالم فينا ريتها حكاية ! بتصدق ما عادليش عين اظهر بين الناس ؟ وخاجلي نفسي منك ومن ناصيف بك بالاخص · بيحق لكم تزعلوا علي · بيحق لكم تعتبوا ·

موسى — انا — بتعرفي — يا ام الياس — كنت مثل الاخوه انا والمرحوم

بطرس بك يما لا ؟

ام الياس — واعز من الاخوة .

موسى — كنت احلف بحياته يما لا ؟

ام الياس — وهو كان يحلف بحياتك .

موسى — ورحمته في تربته يا ام الياس ان معزتك عندي ومعزته سوا. لكن — بحكيلك الصحيح — لمن اجا ناصيف وخبرني عن الدق اللي لعبته زينة معه — انضربت . انضربت عا وجهي . صعبت معي — ليش الحكي ! زينة — اللي كنت عدها مثل بنت خيي — ترد خاتم الخطبة لابني ! أهيدي صارت بعد ؟ بعمرك وزمانك سمعت ان بنت عاقله ، بتفهم ، بتحد الاشيا بترفض عريس مثل ناصيف ؟ والله ما صارت ولا بقا تصير ! انا من قلة البنات رحت خطبت زينة لابني ؟ انت بتعرفي وكل الناس بيعرفوا ان بنت القائمقام بتقتل حالها عا ابني . لكن انا حديتها بعقلي — خيي بطرس مات وخلفا ها البنت . صار عمرها ١٩ عشرين سنة . والبنت ، عارايتك ، بدها مين يسترها . حديتها بعقلي . لقيت انه احسن من ناصيف مش رايح بيصير لها. تطلعنا فتشنا انها بالآخر تكبرت علينا وراحت تعلقت بهونك نوري الله بيعرف جلدة مخ بيه منين ! انا بحكيلك الصحيح . صعبت معي . لكن عدت جلتها بفكري — انا رجال ختيار . بعيش لي بعد سنتين وان كترت — خمسة . ما عنديش غير ها الصبي . بدي جوزه قبل ماموت . قلت اذا اكان هو بيحب انه ينسى ها المسأله انا والكل بنساها . تاري لك ناصيف

صحباني عنده اكتر مني ·

ام الياس — (الى ناصيف) يا عيب الشوم يا ناصيف بيك · انت بتقيد عابنت ؟ ايش هي وايش عقلاتها هي ؟

موسى — مثل ما قلت لكِ يا ام الياس · انا واياك — ايامنا ولت · نحنا لا بقينا نتجوز ولا بقينا نطلق · بنا صالح ولادنا بس · وكيف ما كان — نحن منعرف صالحهم احسن · انا بتكفل لك بناصيف · ناصيف ولو كان رجال — بعده بيقبل بيه وبيسمع منه · ها الجيل الجديد يا ام الياس الله يسترنا منه · عشنا وعاش جدودنا قبلنا · ما كنا نسمع بيت تكسر كلمة امها يما بيها · اليوم بيطلعولنا بيدع بدع · ساعه الجواز بلا عشق ما بيسواش · ساعه بدهم يتجوزوا بلا خوري · ساعه بدهم يطلقوا ايا وقت كان · ألا اخلصي — مليح اللي الله بعده رافع السما عنا

ام الياس — نشكرك يا ربي ونحمدك !

موسى — وهلق شو رايك ؟

ام الياس — الراي عندك ·

موسى — رايي — من بعد امرك — انك لا تخلي زينه بقا تشوف ها الملعون · هادا شيطان ملفلف · لا له ذمه ولا له دين · يمكن يكون ساحر — الله اعلم · ثم بعده — رايي انا نعجل بالعرس قد ما فينا · وانتِ عليي بالخوري ·

ام الياس — الخوري ما فيش عاقه منه · الخوري حنا انا لو قلتله الابيض

اسود بيقول اسود ولو قلتله زت حالك بالنار بيزت حاله .

موسى — وحتى نسكر تمام الناس بشرف موافق انك تروحي تجيبي زينة لمون حتى نصالحهم هي وناصيف وبيرجع كل شي عايبت صحابه

ام الياس — (ناهضة) مثل ما بتقول بيصير يا موسى بيك . وانت يا ناصيف بك لا تزعلش . ما بيصير الا عاطرك . (تخرج)

موسى — أرأيت كيف تدبر الامور ؟ تعلم . تعلم ! نظم الاشعار فن والسياسة مع الناس فن آخر . ابوك لم يتعلم الاول لكن هذه الشيبة قد علمته كل ابواب السياسة . فافرح ان عندك اباً مثلي . لولاي لكنت تموت فقيراً ميتة الكلاب . والان — اذا لم تعاكسني الاحوال — ساملأ جيبك مالا وارفع مقامك بين الناس . لا يعيش اليوم الا الغني . المال كل شيء — ضع هذا نصب عينيك دائماً . المال هو القوة والشهرة والاعتبار والكل في الكل . شعر ما شعر — حط بالخرج يا ابني . ابوك اخبر منك في هذه الامور . هؤلاء الذين يصفقون لاشعارك اليوم ، لو عرفوا غداً انك مفلس ، يديرون لك ظهورهم ويغلقون في وجهك ابوابهم . الناس مع الواقف . (يفتح الباب ويدخل خليل)

خليل — مرحبا !

ناصيف — (ناهضاً لمصافحته) ادخل . ادخل . منين الله بعت لي اياك هلق ؟

(موسى بك يأخذ نوجيلته ويخرج)

خليل — من الجنة !

ناصيف — اجلس !

خليل — (يبقى واقفاً) اجلس ؟ هلق وقت جلوس ؟ كم مرسال بمرسال بدك نبعث وراك ؟ فز ! حنا سركيس ومخايل عون ناطرينا برّا · اليوم الخميس يومك المسعد · والله بتشلح ابن عون اليوم قميصه اللي عاجلده · بزمانك خسرت شي نحاسة يوم الخميس ؟ لا · فاذن قوم · شوباك ؟

ناصيف — ما باليش بالقمار هلق يا خليل · خليني بحالي ·

خليل — وبايش بالك — بالنسوان ؟ قوم · عيب عليك والله ! بعدها آخذه عاخاطرك دعوة الخاتم ؟ يا عيب الشوم — كلمة من شقفة مرا بتنيمك بالفرشه سنة · قوم (يأخذ بيده) · منلعب لنا دق دقين · بنطير زاعولتك · ان كان كل زعلك عاشان زينة انا بتكفلك بزينة · زينة لك وحياة راسك ! انت تعا معي وانا بفرج همك ·

ناصيف — قلت لك خليني بحالي يا خليل · ما بقدرش روح هلق · لكن بدي اقصدك بشغله ·

خليل — ما تكرم عينتينك ! لكن عجل · الكدعان ناطربي برّا

ناصيف — بدي بالك تقول لزينه انه هادا ها النغل — داود سلامه — مجوّز · وانه ها البنت اللي عنده — اللي بيقول انها اخته — هي مرته ، عايش هو واياها بالحرام · وانه مروض ؛ بتعرف ؛ مرض خبيث · فهمت ؟

خليل — ما تكرم عينتينك ! بقول لها انه مجور ، وانه مطلق ، وانه

عنده عجال ولاد · وانه معه مرض ومسلول وصايبه زنتاري وهوا اصغر وانها امه كانت عورا وبيه اخوت بالمارستان وجده كان ابرص · وانك انت اللي ها الحملة عاخليل وغني يا موليا — ما تكرم شواربك !

(يهم بالخروج ثم يرجع) لكن وينك -- ولو طالعت تقلة — بدي منك شي ليرتين تلاته · مبارح كان علي نحس · شلحوني عا المنضوف · لكن اليوم يومي · والله لآخذ لك كل نحاسة معهم · بدي ليرتين — تلاته بس · ما استرجتش اطلبهن من امي · بتقيم القيامه · ما بتعرفش ما ابخلها ؟ بحياتك عجل ! وطمن بالك من يم زينه !

ناصيف — (يخرج جسدانه) كل شي معي ثلاث ليرات · كيف بدي اعطيك هن ؟

خليل — ليرتين بيكفوا · ليرتين · عجل بحياة شواربك ! (ناصيف يعطيه الليرتين) الليلة برجع لك هن مع الفايض · فايض المية ميتين · مليح ؟ خاطرك هلق · مثل ما قلت لك — طمن بالك من يم زينه · ما دامني انا بالوجود زينه ما بياخدها حدا غيرك ! بتعرف خليل — اذا وعد بيوفي · خاطرك (يخرج بعد سكوت قصير يدخل موسى بك وفي يده نرجيلته)

موسى بك — خير انشاءالله ؟

ناصيف — وعدني ان يعمل كما اشرت ·

موسى — (يجلس كما كان جالساً قبلاً) بعدك بتقول بياك خرفان ؟ (يسعل بشدة) ها السعلة بدها تقصف لي عمري بكير · لكن اذا مت هلق

بموت مرتاح البال . (سكوت . تدخل ام الياس جاذبة زينة بيدها)

ام الياس — فوتي . فوتي . ما حدا راخ ياكلك ولا حدا راح يشتقك . مسبحي عمك بوناصيف . موسى بيك بيحسبك مثل بنته

موسى — (الى زينة) اهلاً وسهلاً بزهر البان (يقف اجلالاً) . شايفه اللحمه عا الضفر ؟ انا وبيك بالزمان كنا مثل اللحمه عا الضفر . تفضلي . تفضلي ! ناصيف زعل شوي . وانا زعلت شوي — لكن هلق كل شي راخ عايبت صحابه . تفضلي . تفضلي . (يأتيها بكرسي ويجلسها . زينة تجلس .) مرة خيي ام الياس ! ام الياس ! عاوزك بكلمة عملي معروف (يغمزها ثم يأخذ بيدها ويخرج الاثنان . ناصيف بك يبقى واقفاً وزينة جالسة . ناصيف بك يأتي بكرسي ويجلس بالقرب من زينة . زينة تنظر بالارض وتلعب بطرف قسطانها . وناصيف بك يلعب بسلسلة ساعته)

ناصيف بك — (بعد سكوت مل) قح . قح . (متنحنحاً يفرج خاتم الخطبة من جيبه ويتقدم نحو زينة ليأخذ بيدها ويضع الخاتم على اصبعها) اظنك قد افقتِ من سكرتك الان .

زينة — (ساحبة يدها بلطف) لا اعلم اني سكرت في حياتي حتى افيق

ناصيف — (ماداً يده نحوها) اعطني يدكِ

زينة — وماذا تطلب من يدي ؟

ناصيف — احب ان اصالحك وان تعودي عروسي كما كنتِ

زينة — الاحسن ان لا نتصالح اذن .

ناصيف — اتريدين ان تبقي عدوتي اذن ؟

زينة — انا لا اريد ان اعادي احداً اذا امكنني . لكنك اذا كنت تطلب عدائي فانت المسوءول لا انا .

ناصيف — وهل تظنين اني اطلب عداءك ؟

زينة — نعم .

ناصيف — وكيف ذلك ؟

زينة — لانك تعلم اني احب سواك ولا تزال مع ذلك تضطهدني وتضطهد من احبه .

ناصيف — ولماذا لا تحبيني ؟

زينة — لاني لا احبك .

ناصيف — اذن لا تزالين متعلقة بهذا الـ ... هذا الصعلوك — داود سلامه ؟

زينة — قل لي لماذا جاءوا بي الى هنا ؟ ألأسمع منك كلاماً كهذا الكلام ؟ اذا شئت ان تتابع حديثك فالافضل ان لا تذكره بلسانك بعد

ناصيف — حسن . لن اذكر اسمه بعد . ماذا وجدت فيه من الحسنات وبماذا تفضلينه علي ؟ انا بك وابن بك وهو مجهول الحسب والنسب والارجح انه ابن فلاح . انا شاعر صيتي طبق الافاق وهو معلم يكاد لا يعرف بوجوده احد . انا .. انا لا احتاج الى الشغل لاجل معاشي وهو فقير ليس عنده عشاء ليلة . واخيراً انا اجمل من وجهي ؛ فماذا يحبيك به ؟

زينة — احبه لانه رجل . مع ذلك فهل انت اب اعترافي ؟ وماذا يعنيك اذا احببته او احببت سواه . يكفيك اني لا احبك

ناصيف — وما نفعك من حبه اذا كان لا سبيل لك للوصول اليه ؟

زينة — ما زلت انت في طريقي فربما تعذر ذلك .

ناصيف — اذن سابقى في طريقك ما زال هو في طريقي .

زينة — اسمع يا ناصيف بك . دعني احدثك حديثاً معقولاً الان . لماذا تطلب الاقتران بي ؟

ناصيف — لاني احب ان اتزوج .

زينة — ولماذا لا تفتش عن سواي ؟

ناصيف — ولماذا افتش اذا كنت وجدت واحدة ؟ الكل يقولون ان زواجنا « مساقب » . امك تقول كذا وابي يقول كذا . والكل يقولون كذا — الا انت . فهل تظنين انك افهم من كل هؤلاء الناس ؟

زينة — وماذا تطلب من الزيجة ؟

ناصيف — ولماذا يتزوج الناس ؟

زينة — ناصيف بك ! عبثاً احدثك فانت لا تفهمني . قلبي لا يميل اليك على الاطلاق ؟ هل تفهم ذلك ! قلبي يميل الى سواك ويجب ان يكون مع من يميل اليه . هل هذا بسيط ؟ اذا قدر الله وتم اقترانا — وانا لا اقدر ذلك — فسيكون هذا الاقتران سبباً لهدم سعادة ثلاثة اشخاص — سعادتك وسعادتي وسعادة من احبه . انا لا اقدر ان آتيك بقطرة من السعادة لاني لا احبك .

هل تفهم هذا ؟ لا احبك . وكيف آتيك بسعادة اذا كان لا حب في قلبي لك ؟ اذا تم اقترانا فحياتك معي ستكون عذاباً دائماً . هل قرأت عن جهنم في الانجيل ؟ — حياتك معي وحياتي معك ستكون اشد عذاباً من جهنم . ومن يطلب العذاب لنفسه ؟ اما اذا تخليت عني — أعني اذا حدت من طريقي — فربما وجدت لنفسك فتاة تأتيك بالسعادة في عينيها وفي صوتها وفي وجهها وفي كل حركة من حركاتها . واتمكن انا من ان ألبي نداء قلبي وقلبي ... قلبي ... قلبي يحب يا ناصيف بك ! يحب . يحب ! لكن سوالك . فدعني وشأني . دعني وشأني ! ولنفترق صاحبين لا عدوين ! (تبكي)

ناصيف — ابكي . ابكي ! فخير لك ان تعرفي انك — « ان كنت ريحاً فقد لاقيت اعصاراً » . قد احتملت منك كثيراً . وسمعت اكثر . وقد عزمت الان ان لا احتمل اكثر مما احتملت . ناصيف بك عركوش في زمانه لم ينسحب من وجه صعلوك ، زنديق ، كابن سلامه . وناصيف بك عركوش في حياته لم يطلب يد ابنة ليقابل رفضاً ويصبر على هذه الاهانة . صبرت عليك طويلاً وقد عيل صبري . ودموعك الان لا تجديك نفعاً . فضلت ان افسر لك بالمعقول اني انسب لك زوجاً من هذا النغل ....

زينة — (تثب عن كرسيها بغضب) قف ! قف ! لا تذكر اسمه بفمك . بلذ لك مرأى دموعي آ ؟ فاعلم انك لن ترى بعد دمعة واحدة تسيل من عيني بسببك (تمسح دموعها) ظننتك انساناً . ظننت ان فيك قلباً . كلمتك كأنسان — والان ادركت خطأي . (ناصيف يقترب نحوها وقد ادهشته

سرعة غضبها) · لا تمسني بيدك ! ابتعد عني · ابتعد عني !

موسى بك (يدخل وام الياس وراءه) شو صار ؟

ام الياس — شو بو صوتك طالع ؟

موسى بك — (الى ام الياس) ما بتعرفيش كامرة خيي العريس والعروس؟ — عن يتولدنوا تخمين !

ام الياس — مش دعوة ولدنة · هي ها المنضوبة بدها تطيلعني عن ديني بعد · (الى زينة) ليش طالع صوتك يا مزتره — ريته يختفي ان شاء الله !

موسى بك — (الى ام الياس) وينك ؟ وينك كامرة خيي ! مثل ما قلت لكِ — دعوة رهدنة مش اكتر

الياس — (يدخل فجأة ووراءه داود الحضور ينظرون اليه مذهولين) اين زينة ؟ اين زينة ؟ امي ! ماذا فعلتِ بزينة (يراها واقفة وراء موسى بك) آ ! انت هنا · انت هنا ؟ (ينطرح اليها ويعانقها) لماذا جاءوا بك الى هنا ؟ هل كللوكِ بعد ؟

ام الياس — (بحنق) ولك انت جنيت بفرد مرة تخمين ؟ غصب لسانك ورا سنانك واعراف وينك ؟ مش شايفني انا هون تخمين ؟

الياس — امي · امي ! لماذا جئتِ بزينة الى هنا انتِ تريدين ان تهلكيها · انتِ تريدين ان تعطيها لرجل لا تحبه · وهذا لن يتم ما دمت انا حياً ! زينة عندها عريس واحد · عريس واحد فقط · وهو الانسان الذي تحب ان ترافقه كل حياتها · وذاك الانسان هو (يذهب الى داود ويجذبه بيده الى وسط

الغرفة) هو هذا الشاب . هذا عريسها الوحيد !

ام الياس — (تنطرح نحو الياس رافعة يدها لتضربه . موسى بك يأخذ بيدها) ولك انا قلت لك سكر تمك !

موسى بك — (بلهجة مصالح) مرة خيبي ام الياس . أمرة خيبي ام الياس ! يا حيف عليكِ ! بتحطي عقلك بمقله ؟ الياس دلبعاته حدين شويه . اسمحي لي بكلمة اعملي معروف . كلمة لا غير . (الى الياس) يا الياس ! انت عن تدور عاصالح اختك — ولو ما كنت بتعرف صالحها — مع هادا وكله — برافو عليك ! انت عا الراس والعين . لكن حضرة الشاب ايش شغلته هون ؟ ايش دخّله بالنص ؟ انا بعد ما تشرفتش بمقابلته .

الياس — هذا الشاب يفتش عن صالح زينة مثلي واكثر مني

موسى — في عندكم شي خي يما ابن عم جديد انا مش عارف فيه ؟ ان كان حضرته ابن عمها — هادا حد علمي . واهلاً وسهلاً فيه .

الياس — ليس ابن عمها ولا ابن خالتها . هو يحبها اكثر مني وهي تحبه اكثر مما تحبني . وهذه هي القرابة بينهما . قرابة قلوب لا قرابة دم

موسى — وشو عرّفك انها بتحبه ؟ سألتها شي ؟ (الى زينة) صحيح بتحبيه يا بنت خيبي ؟

زينة (تحمر خجلاً وبعد سكوت قصير) نعم .

موسى — حلو . (الى داود) وانت يا حضرة المعلم شو الاسم بالطير

داود — داود سلامه .

موسى — والنعم · والسبع تنعام · وانت بتحب ها البنت يا حضرة المعلم؟

داود — نعم ·

موسى — حلو · مقبول · شو بتريد من ها البنت ياحبيبي · بدك تأخذها؟

داود — اذا رضيت هي بي ·

موسى — (الى زينة) وانت بتحبي تأخذيه يا بنتي ؟

زينة — اذا رضي هو بي

موسى — كله عا الراس والعين · فاذن تنينكم راضين · يا مرة خيي

ام الياس — الله يتمم النصيب · انا وابني عاحياده

ام الياس — (مذعورة) انا ؟ انا تا ارضا لبنتي بها النصيب ؟ بنت بطرس سماحه تاتاخذ بسترند ، كافر ، نوري ، فرمسوني ···

موسى — (ام الياس) دستور · دستور بكلمة بعد يا اختي ام الياس ·· (الى داود) بعد لي عندك ها المسأله — اذا خدت ها البنت انحلال شو بدك تعمل بمرتك اللي عندك هلق · ناوي تطلقها ؟

داود — امرأتي ؟ ماذا تعني ؟

موسى — أو · لا تخدنيش وتجيبني · بعني ها المرا اللي عندك واللي بتقول انها اختك · انا بعرف ، وانت بتعرف وكل العالم بتعرف انها مرتك مش اختك · المثل بيقول — ما فيش بزقة تحت لزقة بتختفي · هي ها المرا ايش بدك تعمل فيها ؟ يما بدك تاخد تبين مثل الاسلام ؟ هادا بشريعة النصارى ما بيجوز يا ابني ·

داود — (يتميز غيظاً · البقية ينظرون ويسمعون مدهوشين) ويحك ! هذه اختي · اختي من ابي وامي · ربي ! هل انا بين ذئاب ! ويحكم — أما يكفيكم انكم تحاولون ان تهلكوا هذه الفتاة الطاهرة حتى تهلكوا معها فتاة اخرى طاهرة مثلها ؟ ما ذنب هذه الفتاة امامكم وما ذنبي انا بين ايديكم ؟ قولوا لي — ما هو الذنب الذي اقترفته امامكم ؟ احبها اكثر من حياتي وهي تحبني بكل قلبها — فهل الحب في عرفكم جريمة ؟ لماذا كلكم تهتمون بمستقبلها ولا تسألونها كيف تريد مستقبلها ان يكون ؟ ها هي امامكم — حية ناطقة — لها لسان وقلب وروح — فسلوها من تحب ومع من تشاء ان تعيش بقية حياتها · سلوها ! من اعطاكم الحق ان تتصرفوا بها وبحياتها · وحياتها ليست عطية منكم بل من الله خالقها · حياتها اعطيت لها لا لكم — أفلا تسمحون لها عَلَى الاقل ان تبدي رأيها في الامر ؟

ام الياس — بدي اعرف انت شو دخلك بيني وبين بنتي · شو بيخصك من بنات الناس ؟ انت ···

موسى — (يقاطعها) دستور شويه · دستور شويه يا مرة خيي · بعدا بدي اسأل الافندي ها المسأله (الى داود) يا ابني بنات الناس مش داشرين · ومثل ما انت بتفتش عامصلحتك الناس بيفتشوا عامصالحهم · سلمنا معك ان ها المرا التي قاعدي معك اختك · تانقول انها اختك · الله يستر عا البنات · لكن ها المرض اللي معك شو بتعمل فيه يا ابني ؟ هادي جازه نصرانيه — لا فراق ولا طلاق · بدك تمدي مرتك والكل ؟ هادا حرام عند الله وعند

العباد . بنت مثل هي (يشير الى زينة) — ورده باول عمرها — تروح تعذبها بمرض لا طبيب يشفيه ولا الله يشفيه ! هادا حرام . حرام يا ابني .

داود — (يحرق اسنانه غيظاً) خسئت ! خسئت ! ...

موسى — (يقاطعه) دستور شويه . روق عن بالك . (الى ام الياس) بدك اياه يا مراة خيي ام الياس ؟

ام الياس — (تصرخ) لا . لا . لا . لا . خليه يروح من هون ! خليه يقفي من وجهي !

موسى — (الى زينة) بدك اياه يا زينة ؟ (تبكي ساكتة)

داود — هذا بيت لصوص ! هذا بيت ذئاب ! هذه مكيدة . ويحكم ! ويحكم ! ...

موسى — او هو ! عراف حدك . طولنا روحنا عليك بزياده . هلق كاني ماني ما عاد في . اعمل معروف — اعطينا مدور زنارك (يأخذه من يده ويدفعه) ناصيف ! عندك واياه (.ناصيف ينطرح الى داود ويدفعه الى الخارج بالقوة)

داود — (مدافعاً عن نفسه بعنف) لصوص ! لصوص ! زينة ! ... (ناصيف يطرحه خارجاً ويقفل الباب) (يخرج)

زينة — (تثب عن كرسيها وتنطرح عَلَى الباب) داود ! داود ! ... (تقع الى الارض)

(البقية تأتي)